«ملاحة صحراوية» معرض للفنان التشكيلي والمصور الاردني هاني حوراني:

المكان الذي تستطيع النظر فيه الى ابعد مدى ممكن!

الاردن ـ «القدس العربي»
ـ من اياد كنعان:

افتتح مؤخرا في العاصمة الاردنية عمّان، في غاليري مركز رؤى للفنون، معرض الفنان التشكيلي والباحث الاردني هاني حوراني بعنوان (ملاحة صحراوية)، الذي انحاز فيه الفنان الى جماليات الصحراء، بما تمثله من خواء وصمت، وبما تعنيه من رحابة وامتداد وافق مفتوح على اللانهاية.

عبر التقاطات متأنية مشبعة بقيم لونية وجمالية خالصة، وبحث بصري مجرد للمشهد البصري الصحراوي، ومفارقاته الجمالية، استطاع الفنان حوراني ان يضعنا أمام اختبار تشكيلي – فوتوغرافي جاد، فهو من ناحية ينأى بالصورة عن فعل التسجيل السياحي والسطحي المباشر لفعل المشاهدة، وهو في نفس الوقت يختبر قدرة الصورة وعدسة الكاميرا على خلق حالة تشكيلية محضة، ومعالجة لونية وبصرية تشكيلية ضمن اطار اللوحة.

رغم كثرة الاعمال التي تناولت الصحراء وجمالياتها عبر عدد ليس باليسير من المصورين والفنانين التشكيليين، الا ان التقاطات هاني الحوراني الفوتوغرافية، بدت مغايرة في جمالياتها وبحثها البصري، مبتعدةً عن الحس التسجيلي، باتجاه تجريد الايقاعات اللونية والحركية والتشكيلية البصرية للمشاهد الصحراوية، وما تمثله من مضامين جمالية وانسانية خالصة.

ورغم الايحاء القصري للبعد الثالث في الصورة عموما، الا ان الفنان حوراني انحاز بشكل ملفت للانتباه الى الطابع ثنائي الابعاد للصورة، في محاولة منه للارتقاء بالعمل الفوتوغرافي الى القيم الجمالية للعمل التشكيلي المجرد، فلا يمكن في تقديري الشخصي مشاهدة اعمال حوارني بصفتها مصورات ثلاثية الابعاد فحسب، بل ان مكمن الجمال في اعماله تتمثل في اسقاطها للبعد الثالث بصريا، لتبدو اعمالا تصويرية تجريدية ثنائية الابعاد، مع ما تمثله من قيم زخرفية وجرافيكية واضحة، فلم يكن هاجس حوراني، محاكاة الجسم المصور، بل ان غياب ذلك (الشيء المصور) هو ما ميز اعماله الفنية، باستثناء بعض الاعمال التي وضف فيها (العنصر المصور) توضيفا زخرفيا بحتا، واقصد بكلمة (زخرفي) هو النزوع نحو القيم التشكيلية وفق منطق هندسي بصري جمالي، وليس (الزخرف) بمعنى (التزويقي) كما يظن البعض. هي الصحراء، تقف جاثمة امام عدسة المصور، ضاغطة في قسوتها، عصية في جوهرها، لكنها في نفس الوقت شفافة تتجول في الروح برشاقة الريح، نقية نقاء الصمت، رحبة باتساع المدى، نهمة، مسالمة، عدوانية، قاسية، ساكنة، متقلبة، جاحدة، وفية، لكنها مع كل ذلك صادقة وساحرة.

عملان لهاني حوراني (القدس العربي)

يقول الفنان هاني الحوراني في مستهل تقديمة لمعرضه:

(لم تكن الصحراء في العين العربية حتى وقت قريب سوى رمز للقفر والجفاف والرتابة، وحتى مثار للخوف من الضياع أو التيه بين الرمال والتلال المتماثلة. انها التجسيد المادي للجفاف والقحط والفراغ، وهي مصدر التهديد الكامن في مبدأ الحاجة والغزو.....

لكن الصحراء ليست فقط لمن عرفها من قبل، الأرض القفر ولا السكون الأبدي أو الأبعاد اللامتناهية من الرتابة، انها أكثر من ذلك، انها المكان الذي ينتج الفلسفة والخيال. فهي المكان الذي تتولد فيه الأفكار والصور. انه المكان الذي تستطيع فيه النظر الى البعيد، الى أبعد مسافة ممكنة دون أن تقطع نظرك عوائق الاتصال البصري، أو التشتت بين الأشياء والأماكن. انه المكان الذي أنجب الشعراء والأنبياء أو الرؤى التي تتجاوز سطح الواقع....).

ويضيف هاني:

(الصحراء بما تتسم به من شحة الخيرات المادية هي التي دربت البشر على اظهار الاحترام للقليل من الأشياء، وعلى الاكتفاء به. انها المكان الذي تجلت فيه عظمة المخلوقات وقدرتها على الصمود في أصعب الظروف. انها المكان الذي تتخذ فيه أبسط المخلوقات قيمتها الاستثنائية، حيث يظهر التضاد الشديد بين الشحة والقفار وبين القدرة على النمو والحياة. هاكم تلك النباتات الصحراوية التي تنبثق من بين الرمال وهي تشق طريقها بالقليل من الماء والغذاء المتوفر، وهاكم الجمل والطير والزواحف التي تدب في الصحراء أو تهيم بين هضابها، مواصلة دورة حياة بعد أخرى، الى ما لا نهاية، معتمدة على القليل القليل.

العين العربية التي اعتادت الهروب من محيطها الجاف وتطلعت الى الأخضر اليانع والأزرق المتلألئ لم ترما رآه الأقدمون في بيئتهم الصحراوية. فهذه الصحراء لم وليست ولن تكون مكاناً للموت أو الموات. انها على عكس الصورة النمطية، حافلة بالتفاصيل، غنية بالألوان، مثيرة لمن يراقب التحولات والتقلبات والمفاجآت التي تنطوي عليها.

ليست الصحراء كميات لا متناهية من الرمال الناعمة. وانما هي أيضاً الفضاء الفسيح والهواء والرياح، وحتى الأمطار والعواصف الرعدية. انها المكان الذي يحفل بالمفاجآت. حيث ينقلب الهدوء الى صخب مفاجئ، وحيث تنكسر الاستمرارية أمام غير المتوقع، وحيث تهبط الحرارة اللاهبة بعشرات الدرجات في غضون ساعات أو أقل، وحيث تصل حدة المتناقضات الى ذروتها القصوى.

ليست الصحراء مكاناً مرعباً من الصمت. وليست سجناً أبدياً للكآبة. انها خليط بين الأشياء ونقيضها، بين الجنة والجحيم، بين السجن والحرية، بين الكآبة والبهجة. انها المكان الذي تذهب المفارقة الى منتهاها، وحيث التناقضات تقيم في انسجام تام!

قد تكون الصحراء باعثة على الملل في وقت ما، لكنها في زمان آخر، المكان الوحيد للاتصال مع الذات دونما عوائق. وقد تكون المكان حيث لا شيء يحدث ولا تغير يذكر، لكنها أيضاً، وفي الوقت نفسه، المكان الذي يعمل فيه الدماغ بلا توقف، حيث الذاكرة تروح الى ما لانهاية.....

اما الناقد والفنان د.مازن عصفور، استاذ مادة النقد في كلية الفنون والتصميم في الجامعة الاردنية فيقول:

(يعود الينا هاني حوراني، وهو احد فناني مرحلة الستينيات، من خلال تجربة جديدة تستكشف لغة الفضاءات والسطوح عبر عدسة الكاميرا التي يتم التعامل معها برؤية تشكيلية تجعل من العدسة صنوا للفرشاة، او اداة معادلة لها من اجل تشكيل لوحته الخاصة...

ان اعمال هاني حوراني رغم اختزالاتها وتجريديتها الثرية، لا تنفصل عن السطح العام للواقع المعاش ولا عن بيئتنا وفضائنا وزماننا، وانما تستلهم لحظات زمنية معاشة او ترصد جزئيات مستمدة من تشققات الجدران وحضور الانسان في لمسته غير المرئية على السطوح...).

ويذكر انه اقيم على هامش المعرض ندوة نقدية لاعمال الفنان هاني الحوراني، تحدث فيها الفنان عن مجمل مسيرته الفنية، وشارك فيها الناقد والفنان التشكيلي الاردني محمد العامري، والفنان الاردني علي ماهر، والناقد د.مازن عصفور، وحضر الندوة جمع غفير من الفنانين والنقاد والمهتمين.

تداعيات

الصفقة!

سهيل كيوان*

■ اقتحمت عليّ عزلتي صبية يهودية بدت وكأنها ضلت طريقها،تريثت بعد السلام ثم استقرت في مجلسها، أرسلتُ برقية الى ملامحها المستورة والمكشوفة، ورمقتني بجرأة من تحت نظارة طبية أضافت لأنوثتها رونقا، للنظارات الطبية وقع خاص في النفس القروية فهي ما زالت توحي لنا بالجدّية وطلب العلم والنأي عن الدرجات السفلى حتى بعد إثباتات متكررة دحضت هذه النظرية ، ولهذا رحت أتخيلها بلا نظارات كي أقترب من حقيقتها،لا بد أنها تسوّق منتوجا ما على طريقة الإقتحام ونقل السوق الى غرفة نوم الزبون ، وهي طريقة أمقتها لأني أحس أنها عملية اغتصاب بالتخجيل والأقساط المريحة!

وفورا قلت لنفسيّ يا نفس ارفضي أي عرض تقدمه هذه الفتاة مهما كان مغريا، فلا بد أن تخدعكّ. قالت وعلى ثغرها ابتسامة بدت لدهشتي ساذجة وبريئة "لا شك انك بدأت بتخمين ما سأعرضه عليك!"

قلت فورا– لا أريد شيئا،بضاعتك مزيفة وباهظة الثمن ولست بحاجتها!

– ما هذا الذي لا تريده!عن ماذا تتحدث؟

– بضاعتك ..عطور! قواميس الكترونية؟ كتب! موسوعات،ساعات، عقاقير لتخسيس الوزن..اقلام سحرية!ووقفتُ وانا أشير الى الباب كي أودعها(من غير مطرود)..

ولكنها قالت:لا تستعجل استمع أولا ثم قرر فلا أحد يرغم أحدا على شيء في نظام ديمقراطي! ثم بدأت تقلب أوراقا في حقيبتها وتتحدث– أتيت اليك لأنك أنت بالذات تستحق الأرض..(وذكرت اسمي كاملا)!

– الأرض!

– نعم ..سأبيعك أرضاً!

– اسمعي لن اتعامل معك قبل أن تقولي من هو الكلب الحقير الذي أعطاك أسمي كاملا وأوهمك أن بإمكاني شراء أرض! هل تسخرين مني!

– لا تغضب ... لم يعطني اسمك أحد، نحن نملك سجلا باسماء كل الرجال والنساء في مثل سنك ومعنا خارطة محوسبة للقرية وكل بيت فيها ومن يقطن فيه ووضعه المالي والمعيشي!استيقظ يا سيدي .. أنت لا تواكب التكنولوجيا الحديثة رغم ثقافتك!

– وما دمت تعرفين حالتي فكيف تعرضين علي شراء أرض! رحم الله جد جدي فقد ترك لنا مرقد عنزة اقمنا عليه بيتنا!

– ها أنت قلت بعظمة لسانك ..جد جدك أورثك أرضا هل تعرفه!

– الحقيقة لا اعرف حتى جدي لأنه توفي قبل ولادتي!

– حسنا (لتكن ذكراه مباركة)،ورغم ذلك فقد ورثته!اذا لا تكن أنانيا! لماذا لا تقتني أرضا لأحفادك!

– ولكن يا سيدتي ....!

فقاطعتني– أعرف وضعك تماما،(لا تندب لي)،ولهذا جئتك دون الناس فهذه فرصة الفقراء وغبي من يفوتّها!

– ها ها فرصة للفقراء! لا شيء يفزعني في هذه الدنيا أكثر من الفرص المفصلة على مقاس الفقراء!أكثر من مائة عائلة فقيرة من مدينة شفاعمرو اقتنت قسائم ارض باسعار مغرية وبدأوا بإقامة بيوت عليها وبعد فوات الأوان أكتشفوا أن صاحب الأرض اليهودي رهنها للبنوك مقابل قروض بملايين الدولارات وهرب الى بلاد الله الواسعة! والآن تحول الفقراء الى بؤساء! سيدتي أنا لا اريد صفقات أشكرك أشكرك! أصلا ليس بإمكاني حتى لو أردت!

– بل بإمكانك،(وأخرجت من حقيبتها صورة ملونة) انظر هل ترى هذا!

– ما هذا! هذه صورة القمر!

– هل تعرف كم يبعد عن الأرض!

– نحسبه بعيدا وهو قريب!

– أنظر الخبر في الصحف،هل الاف الإسرائيليين ومئات الالاف من شتى أرجاء الأرض الذين اقتنوا أرضا على القمر أغبياء..أنا(دوريس) وكيلة تسويق لمكتب السيد (دينيس هوب)،أنت تعرف أن القمر مسجل باسمه حسب القانون الأمريكي! لقد بيعت حتى الآن ملايين الدونمات،الدونم بخميسن شيكل فقط!

– على القمر!

– نعم على القمر وبخمسين شيكل فقط للدونم الواحد!

– ولكن ماذا سيفيدنا هذا! وقد تكلف زجاجة مياه هناك أو اسطوانة اوكسجين ثمن عشرين دونما في وسط تل ابيب!

– ها ها الان بدأ الجد! أنا اعرف ان العرب لا يفكرون للمستقبل البعيد!فمن يعرف ما يخبئه الغيب!وماذا يوجد في باطن القمر من ثروات!هل تعرف كم كان سعر الدونم في مرج ابن عامر وسهل الحولة وفي المنطقة التي صارت تل ابيب ونتانيا قبل مائة عام ربما نصف ليرة! وكم يبلغ سعرها اليوم! ملايين! أنتم العرب دائما تستيقظون متأخرين وهذا سبب مصائبكم! رغم أنكم تصرفون الكثير والقليل على أشياء لا لزوم لها!

قفزت الى رأسي صفقة الأسلحة السعودية الأخيرة ذات العشرين مليار استرليني .. بالفعل ما هي ضرورتها! بمبلغ كهذا بالإمكان اقتناء القمر والمجموعة الشمسية كلهاّ ولكن ما علينا،وهل هي اموال والدي! فليشتر العرب واليهود ما يشاؤون! أنا شخصيا لا أريد أرضا على القمر وهذا قرار نهائي!أرجوك بلا إحراج! ووقفت عند الباب باشارة لها ان تخرج!

– حسبتك أذكى من أن تضيع فرصة كهذه! قالت الفتاة وهي تخرج مخذولة.

ذقت للحظات متعة النصر على بائعة متجولة رغم كل الإغراءات،ولكنني ما لبثت ان فكرت..هب أن الإسرائيليين وغيرهم اقتنوا القمر كله وقرروا صبغه بالأسود ومنع نوره عن العرب! يا الهي هل يعيش العرب بلا قمر! انها كارثة!وماذا عن مليون قصيدة واغنية وقصة قيلت في القمر! اين نقابات الشعراء والعشاق والفنانين العرب! يا عرب إلحقوا حالكم ، أضعتم فلسطين وأولى القبلتين فلا تضيعوا القمر، أين الجامعة العربية!أين من يقتنون الأسلحة ومواد التجميل بالمليارات! أين من يهرقونها على اقدام الغانيات والمقامرات والمؤامرات! ماذا ستقولون للأجيال القادمة! كيف اضعتم القمر! كيف سمحتم للإ سرائيليين بالإستيلاء عليه وانتم تنظرون! من سيقبل بعد هذا أن يقسم القمر(أنا نص وأنت نصّ) ومن سيكون له رغبة بالغناء!(قمر الليل يا قمري) (وعلى بابي واقف قمرين)... يا الهي..! لا تخذلوا من قالت(يمه القمر عل الباب) ... ولا عبد الحليم حافظ (القمر خدنا القمر) بل أين وجوهكم من سيدة الغناء العربي(هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر) وركضت الى النافذة..هيه يا صبية يا صبية.. لحظة من فضلك هل تقبلين الدفع بشيكات مؤجلة!

* كاتب من فلسطين

قص

بين ثلاث نساء

حسين سليمان*

■ قال احدهم: سوف يأتي يوم يراك فيه الناس تمشي في الشارع قبل طلوع الفجر وتشد شعرك بجنون.

البيت له درج ينزل بهدوء وليس بسرعة نحو الشارع. لو كان الدرج سريعا لوقعت لكن على مهله مكسور مسنن واحد فيه ولا أضع قدمي تماما على مصطبته حتى تثبت ثم انزل درجة اخرى.

ثم انزل درجة مائلة وفيها كسر حاذق فانزلق ثم تزل قدمي نحو الاعلى آه ويسمع الناس السقوط. أحدهم يضحك يطل من النافذة يضج فيها ويقول والله تستأهل، أنت لا تشبع، ثلاث نسوان مرة واحدة؟ فأرد عليه من بعيد بان قدمي مكسورة. حين جاء الصباح رن الجرس فجلست كانت نسائي تنام مرة واحدة على السرير. وكنت اسمع العامل الذي في داخلهن يريد. والواحدة مثل فوق. وانا مثل تحت.

سوف أروي قصتي معهن من الأول: حين أحببت الاولى كانت جميلة وعيناها واسعتان وفمها لبق تنشر العطر لي كلما يأتي المساء وحين أدخل المنزل قادما من العمل تستقبلني عند عتبة الباب. فابتهج لكن العمل، يهبط علي التعب وهو العمل وهي جانبي فتقول لي كلما اقترب منك تنفر وتتعب فأقول لها ليس منك لكنها لا تفهم مثل معظم النساء. ثم أنام أما هي فتذهب تقلب في قنوات الفضاء فضاء خلف فضاء وتدور كثيرا. وفي احدى الليالي استيقظت لم تكن في المنزل اين زوجتي في كل مكان وبحثت عند الجيران وهناك جار عازب طرقت عليه الباب فظهر نصف عار وقال في الصيف زوجتي ليست عندي. كان الرجل نصف نائم ويحلم مثلي اين هي اذن. ثم عدت الى المنزل مثقلا بالهموم والوساوس وفي اليوم الثاني صرت اراقب منتصف الليل أين تنهض وتذهب وهي تظن انني نائم لكنني كنت اتبعها.

لقد اصابتني حيرة اين تذهب ـ هي تختفي من امامي حين أتبعها وكأنها من جن. هكذا صرت أؤمن. فأعود بخفي الحزين.

لا فائدة من تتبع المرأة فالتي تريده تفعله!

وذهبتُ في نومة طويلة ولم أعد استيقظ نصف الليل أو أهتم. لقد صنعت خطة ان اتزوج اخرى تقدر قيمتي.

وجاءت الثانية. قبل أن تأتي احببتها من كل قلبي وقلت لها عندي غرفة واحدة فقط وفيها امرأة غريبة عني فلم تمانع ، وظهر حبها لي وتقول انني تاج رأسها وسوف تقدرني. ثم جاءت وسكنت وكانت خفيفة الظل مثل الريحان تحمل الورد حين اعود من العمل وتقدمه لي وتضع كأس ماء صاف فتقع الوردة الحمراء في الكأس ويظهر انعكاس حبها في وهي لا تمل من النظر الي والابتسام وتمييل الرأس وشبك اليدين عند العنق وعيناها واسعتان وتلبس حطة قروية، وهي صغيرة العمر جسدها حساس حتى أنني حين لمسته راح يلتهب ويصبح يوما بعد يوم أحمر قانيا ثم صار يخرج منه دم. وتقول المرأة الأولى حين راحت ترى جسدها ملقى على بطنه فوق السرير وظهره احمر ودم قليل هنا وهناك انني مصاص دماء لكن هي حساسية اقول لها والله حساسية لكن الاخرى لا تسمعني ولا تدرك ذلك لأن جلدها ثخين. والزوجة اخذت مع الايام تصدق انني مصاص دماء فصارت تحتمي حين انام بالأولى وتقول لها على السرير ذلك. لقد حاولت بعد ذلك معها أكثر من مرة لكنني فشلت فذهبت ابحث عن زوجة ثالثة تقدرني وتحترم مفهوم الزواج. كانت ايضا من قرية مجاورة وهي تذهب الى النهر الصغير كل يوم كي تملأ الماء رأيتها واشتعل قلبي من الفرح فقلت هذه هي. لكن هناك شرطا وهو ان لا تستمعي الى الامرأتين الغريبتين اللتين في الغرفة عندي، يجب أن تكوني وحدك.

لكن الذي حدث حين قدمت الي أنها راحت تتآمر معهن بخطة محكمة قوية والخطة هي أن يتوزع قلبي. ادخل المنزل عند المساء كعادتي مرهقا من العمل وبدلا من واحدة تستقبلني وتقدم الورد فهنا ثلاث نساء أجدهن أمامي جميلات يرقصن واحدة تسرح شعر الأخرى كأنني في عالم ألف ليلة. والاولى أظهرت لي من جديد عادات الحب الأولى. وكذلك الثانية والثالثة وكيف يستطيع قلبي أن يحمل ثلاث طيات من تقسيم الحب. راحت نظراتي تخذلني حين تلتقي عيوننا وأي منهما أعطي قليلا من شعلة واتقاد العين. لكل منهن قصة وذكريات فوق السرير. وهن حين ينظرن نحوي يذكرنني بالذكريات وكنت اريد أن لا أشوش ولا أخلط ذكرياتهن معا مرة واحدة لكن بدا هذا الامر مستحيلا فهن متسامحات وقد حكين لبعضهن ذكرياتهن معي. جمعن ذكرياتهن معا وها هن يتغاوين حين يأتي المساء. كيف احمل هذا الثقل ـ حين يكون الحب ثقلا ويكون الجمال ثقلا والجسد ثقلا؟

أن تحارب امرأة واحدة فأنت خاسر فكيف أن تحارب ثلاثا؟

في البداية ظننت أنني محظوظ، فها هنا ثلاث بنات يتحاربن من أجلي. فيستلقين على السرير وكل واحدة تشير باصبعها أن آتي الى هنا وهو مكان واحد غير موزع الى ثلاثة في مكان واحد وأن أختار منطقة وسطى وألقي جسدي هناك وهو لهن فليفعلن به ما تشاء الوساوس.

حين وقعت حدث لي قلب. انني أحب. النهاية. التي كانت تقف وبيدها الورد وتقدمه مع العطر عند الباب لقد كان ظهرها قد تطهر مني. وفمها لبق ينشر قصائد عطر فاستحكم بي الحنين وجعلني أميل الى قصص الحب.

ولكن هنا.. فحين استحكم الحنين...عرفن الوقت.. فحين استحكم بي الحنين جاء وقت تنفيذ ما فكرن به.

مؤامرة أو ليست كذلك... أن يتسربن.. واحدة خلف الأخرى، فاختفت الاولى ثم تبعتها الثانية، كأنهن جن –

وهنا القصة .. ذلك ألا تكون واحدة منهن معي.

الضوء سراب ليس الضوء والشارع ليس الشارع

كنت أعيش وكنت أفكر كيف أعيش او لا أفكر

بالفجر متى يأتي كي أخرج. لا أخرج.

لكن لم أفعل. لم أخرج نحو الفجر. لقد هناك بينهن. ابكي مرة واضحك مرة. كأنني مجموعة من الذكريات البعيدة.

حضرن لمرة واحدة... للحظة واحدة.... ثم غادرن.

النساء اللواتي احببتهن – خرجن على مهل وصرن دخانا وبساتين.

وازرع قدميّ على الدرج الصغير المكسور وانزل نحوه ...

واصوات العصافير تملأ الشارع وتهفو على الأسطحة

أن تحب امرأة. لن أخرج. أو أن تحبك امرأة. تركض في برية الأرض. امرأة واحدة.

وجعلت الوقت كأنه فجر وجعلت الحياة تنتابني والشعور المكسور أنها لي وليست لي.

ألف ليلة فقط هما سنتان واقل من يوم واحد مرت الدنيا بسرعة وكان علي ان اسرع بالنزول ولو أن الدرج مائل قدمي..روحي عليه مكسورة.

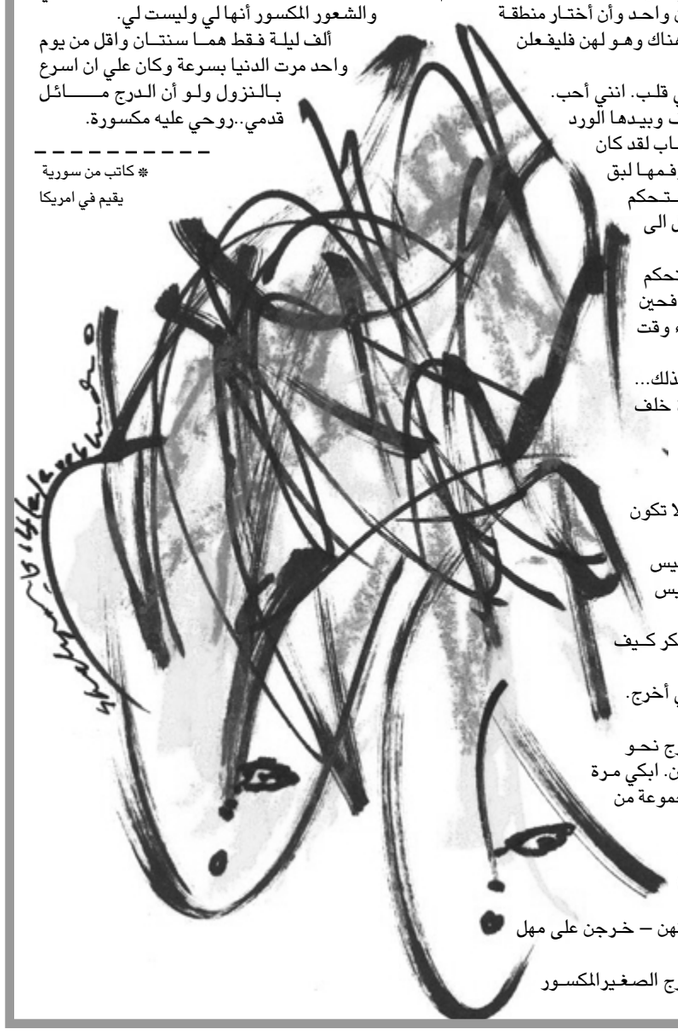

* كاتب من سورية يقيم في امريكا